

**ينظم**  
**المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ**  
**في إطار تظاهرة**  
**العربية " الثقافة عاصمة " الجزائر 2007،**  
**الثقافة تحت الرعاية السامية للسيدة خليدة تومي وزيرة**  
**الملنقي الدولي الأول لما قبل التاريخ المغاربي**

عرف البحث في ميدان ما قبل التاريخ المغاربي تطورات هامة خلال العشريات الأخيرة تمثلت أولاً في توجيهه تأسيسي للبحث العلمي سمح بالتكفل بمشاريع الباحثين ضمن هياكل البحث في الجامعات و في إطار التعاون الدولي . انعقدت عدة ملتقيات و حلقات علمية في العديد من البلدان المغاربية ، تم فيها ضبط وضعية البحث و صدرت عنها نظريات جديدة و مناهج علمية متعددة ، على غرار ما توصلت إليه الأبحاث والتطورات التكنولوجية العالمية . أعطت السلطات العمومية الاهتمام اللازم لتراث ما قبل التاريخ، تمثل في إبرام اتفاقيات دولية و إنشاء هياكل الحفظ و الحماية والترميم، وفتح مساحات جديدة لاستقبال هياكل البحث و كذا إعداد فروع تخصصات جديدة للتدريس... الخ . أدت الإتفاقيات الدولية المشكّلة ضمن إطار الشراكة إلى وضع شبكة تعاون بين مخابر و فرق بحث متعددة التخصصات ، حصل من خلالها على نتائج مثمرة . يسمح فتح ميادين تنقيب جديدة مع إعادة تنقيب المواقع الأثرية المعروفة إضافة إلى مناقشة النظريات السابقة، بالتفكير في أنظمة مرجعية جديدة. يمكننا الآن تصوّر ثقافات مستقرة في بلداننا من خلال بقايا الشواهد الأثرية الإفريقية التي يتطلب البعض منها، لفهمها، تأزراً وظيفياً لعدة فروع وتقنيات علمية. إنّ انتعاش هذا الفرع من العلوم الحميّمة يتطلّب ميداناً مغاربياً، متوسطياً وإفريقياً لتبادل الخبرات . باستطاعة ما قبل التاريخ المغاربي اليوم، إعطاء إجابات متوسطية وإفريقية حول القضايا الكبرى للعصر الحجري القديم و العصر الحجري الحديث. و ذلك بفضل إعادة انتشار الأبحاث الميدانية رغم الصعوبات التي واجهتها خلال 30 سنة الماضية. توّاكب الأبحاث المغاربية في ميدان علم ما قبل التاريخ، بخصوصياتها، ركب البحث العلمي العالمي، و تبرز للرأي العام العلمي نتائجها و نفائصها من أجل المشاركة في خلق ديناميكية واسعة، متجانسة و خصبة. يهدف هذا الملتقى، الذي يجمع الباحثين في ما قبل التاريخ المهتمين بالميدان المغاربي، إلى مناقشة القضايا الكبرى و التساؤلات الراهنة. ينظم الملتقى الأول بتمنراست حول مواضيع واسعة، و يتم فيه إلقاء عدة محاضرات و تناول في النقاط الآتية:

**الموضوع الأول :** أقدم الثقافات الماقبل تارخية المغاربية تتکل الأبحاث الميدانية التقيبیة بجمع كافة المعلومات المتعلقة بالنشاطات البشرية والخصائص البيئية. في بينما كانت الشهادات أو الدلائل القديمة تحصر اهتمامها في الأداة مثل الحصى المشغولة والرؤوس اليدوية ذات الوجهين، أصبحت هذه المعلومات في العشريات الأخيرة تتطرق إلى كل البقايا الصناعية بدون ترتيب، وأصبحت الشظية أحياناً أكثر دلالة من الحصى المشغولة على رغم شيوعها. تطبق هذه الرؤية الجديدة على موقع عين حنش الذي يحظى الآن بتوفیر المعطيات الكرونولوجية، الباليونتولوجية، السلوكية والتأقلمية التي تضفي على هذا الموقع أهمية كبرى. تدل هذه المعطيات على أن أولى السلالات البشرية قد عمرت البلاد المغاربية منذ 1.8 مليون سنة، مزامنة بذلك مثيلاتها بموقع أولوفاي (تنزانيا) وكوبى فورا (كينيا). لقد استقرت هذه المجموعات البشرية الأولى بسهول نهرية، بمحاذاة الوديان والمنابع المائية بصحبة حيوانات السفانا. تستمر الأبحاث الأثرية الحالية في اكتشاف مواقع أثرية جديدة، متعددة التخصصات من الناحية الوظيفية

وذلك بعد التعرف على مختلف السلاسل العملية المتّبعة عند عملية التشظية.

من ناحية أخرى، بدأت ترسم لنا خريطة توزيع جغرافي جديد بفضل المشاريع الجديدة القائمة في مناطق طبيعية أخرى مثل : محاجر توماس، موقع تغنيف، مستغانم ونقوس، أين تم التعرف على آثار صناعة آشولية معقدة من خلال المعاينة الستراتيغرافية والأثرية. تساعد هذه المعلومات على اكتساب نظرة جديدة حول هذه الثقافات التي عرفت توزيعاً جغرافياً واسعاً خلال فترة زمنية طويلة من شأنها تجديد معلوماتنا وبالخصوص التي تعنى الموقع الأثري الشهير لـ تغنيف.

**الموضوع الثاني :** قضية العصر الحجري القديم الأوسط : موستيري مؤكـد. مصير العاتري وعلاقته مع ما يليه من الثقافات. تتوفر لدينا الآن معلومات جديدة وهامة قدمتها لنا موقع تونس الوسطى، الساحل الجزائري والمغرب الشرقي والغربي. وباتت المرحلة الموستيرية المعروفة بشظايتها ونصالها ثابتة الوجود بالمغرب. كما أن أقدميته على العاتري مؤكـدة ستراتيغرافيا. أما فيما يخص المعلومات حول البيئة القديمة و التي سمحت الدراسات الباليونتولوجية بتوضيـحـها فقد أصبحت اليـوم متوفـرة و دقـيقـةـ. الأمر الجديد في هذا الإطار هو أنه قد خلفت بعض المواقع صناعات غير إيبـرـومـغـربـيةـ جاءـتـ سـترـاتـيـغرـافـياـ بعدـ العـاتـريـ لكنـ لمـ يتمـ بعدـ إـلـاحـقـهاـ بـأـيـةـ ثـقـافـةـ. يـبـقـىـ عـلـيـنـاـ تـرـتـيـبـ جـمـيـعـ الـمـعـطـيـاتـ الـخـاصـةـ بـهـاـتـهـ الـوـحدـاتـ منـ

أجل تحديد خصوصيات العصر الحجري القديم الأوسط في البلاد المغاربية ضمن أطـرـهـ الكـرـونـوـلـوـجـيـةـ ، الثقافية و الباليانتربولوجـيـةـ. لكنـ بالـغـ منـ هـذـاـ يـظـلـ العـاتـريـ يـحـفـظـ بـصـورـةـ لـحـضـارـةـ غـمـرـتـ أـشـعـعـتـهاـ

### **الموضوع الثالث: العصر الحجري القديم الأعلى: أصله، نشأته، مصيره وعلاقته مع العصر الحجري**

#### **القديم المتأخر:**

بعد مرور زمن طويل على الاعتقاد الذي كان ينفي وجود عصر حجري قديم أعلى بالبلاد المغاربية، تأتي كل من الثقافة الإيبيرومغاربية وإنسان "مشتى أفالو" الذي ثبت انتسابه إلى رجل "دار السلطان"، لفرض نفسيهما حتى وإن كان أصل هذه الثقافة ما زال في محل نقاش إلا أنها نستطيع الرجوع والاستناد إلى المعلومات الجديدة الخاصة بالعصر الحجري القديم الأوسط لغرب البحر الأبيض المتوسط. وعلى كل حال، فإن التصور أو الفكرة التي تدعى أن الإنسان الإيبيرومغربي ذو الأصل المحلي قد تبني صناعة أنت من الخارج لم يعد لها أساس من الصحة.

إن الثقافة الإيبيرومغاربية المنتشرة منذ الألفية 20 ق.م، على الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط قد امتدت إلى مشارف الأطلس الصحراوي وما يجعلنا ننظر إليها بعين مغایرة هي مخلفاتها الأثرية الغير عادية أكثر منها كرونولوجيتها التي أضحت دقيقة. ويتصدر الفن قائمة هذه المخلفات بتعابيره الجمالية المثالية. تعاملت تماثيل من طين معجن و محروق في قلب مسكن متمثل في الملجا الصخري لأفالو بورمال، هذا الملجا الذي هو بمثابة مسكن لمجموعة صغيرة من صيادي الاروية أصبح فيما بعد مدفنة جماعية استقطبت حول شخصيات مرمومة، دفنت بمعية رموز شهرتها ، جمعاً من الصياديين برقة ذويهم، مثلما كان الحال "بكلمنطة" و "تافوغالت" في نفس الفترة. يشهد هذا التراث المحفوظ بالمغاربات

على حركة تعمير طويلة المدى بالمناطق التلية مع دوام سلوكات إعتقادية ورمزية وإقامة علاقات اجتماعية جديدة بالبلاد المغاربية. هذا ما يدعم فكرة تحكم إقليمي من طرف صناع ثقافة خلت قرابة 500 بقية بشرية، شكلت أكبر حصيلة عرفها العالم. إن مراجعة البقايا الحيوانية من خلال منهج أركيولوجيا قد سمحت بالتعرف على طرق الحصول على الحيوانات المصطادة وكيفيات استغلالها، مما يقربنا أكثر من السلوك البشري فيما يخص الممارسات التقنية وعادات الطهي . كما يضيف الطابع التكنو-اقتصادي للمجموعات الصناعية الحجرية الإيبيرومغاربية إلى المعارف السابقة معلومات جديدة عن المهارات التقنية المكتسبة لدى صناع الأدوات الحجرية . تستقر الحضارة القفصية بالمغرب الشرقي في فترة واكبت بداية "الهولوسين" امتدت إلى الهضاب العليا والمناطق الأطلسية، غير أنها لا نعرف الكثير عن امتداد إقليمها بعد هضاب "السرسو" بالغرب الجزائري.

لقد كرّست أبحاث كثيرة لهذه الثقافة التي عرفت إشعاعاً كبيراً بمنطقة "قسنطينة" وتونس الوسطى أين ظهرت مجتمعات بشرية من صيادي الظبي الإفريقي، ملقطي الرّخويات الأرضية وجامعي بيض النعام. لازالت بقايا هيكلهم السكني تتداعى عمليات تنقيب جديدة للتعرف أكثر عليها.

تولي الدراسات الحديثة أهمية قصوى لتصحيح و إعادة النظر في النماذج التقنية التي تبناها صانع الأدوات من مادة الصوان والمختص في النصال والنصيلات من أجل إعادة الاعتبار لمجموعة الأدوات الحجرية. يعتبر الاقتناء والتعامل مع المادة الأولية من المواضيع التي تشمل عملية فهم تنوع الصناعات الحجرية. تعتبر أخيرا النظرة الجديدة إلى بيضة النعام المفرغة من محتواها و التي رغم ذلك تبقى محفوظة أمر من شأنه تقديم معلومات جديدة حول أصول و تطور الفن التشكيلي. هذا المنظور يعيد النشاط إلى موضوع اعتقدنا انه مفروغ منه و يسمح لنا بالنظر بطريقة مغايرة إلى هذه الثقافة وأوجهها التي لم تستنفد أسرارها.

**الموضوع الرابع: التيات النيوليتية المختلفة :** التيات النيوليتية القديمة و التيات النيوليتية الحديثة : من المتفق عليه ان السيرورة النيوليتية ظهرت بالصحراء في بداية الهولوسين في ظروف مناخية رطبة، غير أنها لا نعرف بالضبط من أية قاعدة ثقافية انبثقت هذه السيرورة التي مست شعوبا تحكمت بالاستئناس و صنعت أواني فخارية واسعة و رسمت مواضيع فنية متعددة و عظيمة . يبدو ان العصر الحجري الحديث المتوسطي قد يرجع إلى فترة قديمة و نتج عن تحولات مست الصناعات الابرومغاربية و التي أحقت بها بعض التأثيرات الصادرة من الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط . سلطت الأبحاث الجديدة التي تجري على العصر الحجري الحديث الأطلسي ذو التقليد القصبي، و التي تستند إلى الوثائق الانتروبولوجية في إطارها الأثري، الضوء على الجانب السلوكي و الاجتماعي و ذلك من خلال اكتشاف أدوات رفاهية متمثلة في فؤوس مشكلة بمهارة على صخور نادرة جلبها عن طريق المقايسة، مما يدل على وجود مجتمع فيه أفراد متخصصون و متوجلون في كل أنحاء هذا الإقليم. تأخذ الأبحاث الجديدة بعين الاعتبار أيضا الممارسات الفنية من نقش و رسم و نحت. و من خلال النتائج، تتباين صورة حية و ذاتية لمجتمع رعوي، انتشر في المناطق الجبلية و الكارستية للجزائر الشرقية، و امتدت إلى مشارف المرتفعات الغربية للأطلس الصحراوي أين ظهرت و استقرت ظاهرة تقدس الكبش. أسفرت إعادة النظر هذه عن وجود أدوات حجرية ذات تقسيب مزدوج الوجهين و التي تدل على وجود أنشطة تتعلق باستغلال الوسط الغابي أو الزراعة. لقد تم إثبات ظهور الاستئناس بمنطقة النمامشة لأول مرة. لم يكن يعرف لهذا النيوليتي امتدادا خارج المناطق الداخلية أو القارية، لكن أصبحت آثاره اليوم معروفة في تونس الساحلية و الوسطى. هذا ما أسفرت عنه الأبحاث العلمية المتعددة الإختصاصات التي أجريت بمنطقة هرقلة، أين عثر على بقايا

## **الموضوع الخامس: معطيات جديدة عن فن المناطق الصحراوية: جرد، كرونولوجيا و معنى:**

يعرف الفن جدلية تخص الكرونولوجيا التي يراها البعض طويلة و البعض الآخر قصيرة و لا يزال هذا الفن يعرض الكثير من المعلومات لكنه يفتقر إلى التاريخ المطلق. يسمح اليوم التصوير الرقمي بتحقيق جرد واسع، منهجي ومنظما لرسومات الفن الصحراوي، و كذا يقوم بإعادة تشكيلها بكل واقعية دون أن ينقص هذا من دور التصوير التقليدي. إن التصوير الرقمي بشكل فسيفسائي، يتطلب توفر أجهزة إعلامية قوية، وهو يسمح باسترجاع الملامح السابقة للرسومات. تظهر ثمار هذا المنهج من خلال تجربة دامت عدّة سنوات خصّت الرسوم الجدارية لمنطقة "القدس" من طرف فرقـة بـحث علمـية تـنشـط في إطار مشروع شراكة. تـسمـح النـتـائـج لأولـى لـهـذـه التجـربـة التي تـأخذ بـعين الاعتـبار الإـطـار الأـثـري، بـطـرح فـرـضـيات جـديـدة حول ثـقـافـاتـ المـنـطـقةـ. هـذـهـ الأـخـيرـةـ تـتقـاسـمـ خـصـائـصـهاـ معـ ماـ يـجاـورـهاـ منـ المـنـاطـقـ،ـ لـكـنـ معـ الإـحتـفـاظـ بـخـصـائـصـهاـ الـذـاتـيـةـ الـتيـ فـرـضـهاـ الـمـحيـطـ بـكـلـ مـقـومـاتـهـ الـبـيـئـيـةـ،ـ الـجيـوـلـوـجـيـةـ مـنـهـاـ وـ الـجيـوـمـورـفـوـلـوـجـيـةـ مـمـاـ يـجـعـلـ مـنـ "الـقـدـسـ"ـ (ـالـكـتـلـةـ الـغـرـانـيـتـيـةـ الصـامـدـةـ)ـ مـخـبـراـ عـلـمـيـاـ حـقـيقـيـاـ.ـ تـأـتـيـ النـتـائـجـ الـمـحـصـلـ عـلـيـهـاـ الـآنـ فـيـ "الـقـدـسـ"ـ بـصـورـةـ عـنـ مجـتمـعـ رـعـوـيـ بلـغـ منـ السـعـادـةـ وـ الـمـهـارـةـ ماـ مـكـنـهـ منـ التـحـكـمـ فـيـ وـسـطـهـ الطـبـيـعـيـ وـ أـطـوارـهـ وـ جـعـلـهـ يـتـنـقـلـ فـيـ إـقـلـيمـ بـحـسـبـ مـتـطلـبـاتـ الـرـعـيـ وـ صـارـ يـعـبرـ بـالـفـنـ عـنـ نـشـاطـاتـهـ الـيـوـمـيـةـ وـ كـذـاـ اـعـقـادـاتـ الـكـوـنـيـةـ الـتـيـ يـنـبـغـيـ الـاـهـتـمـامـ بـبعـضـ مـعـانـيـهـ حـيـثـ أـنـهـ تـعـتـرـ تـأـرـيـخـ لـنـشـأـةـ الـكـوـنـ وـ تـصـورـ الـعـالـمـ فـيـ نـظـرـ مجـتمـعـاتـ مـاـ قـبـلـ التـصـرـحـ الـحـالـيـ.

## **الموضوع السادس : فجر التاريخ. الميقالية. النشأة و الكرونولوجيا, العادات الجنائزية والعلاقات مع النيلية :**

اهتمت الأبحاث المتعلقة بهذه الفترة بالجانب الميقالطي الجنائي على الخصوص الناتج حسبها عن عوامل داخلية و تأثيرات خارجية. الأبحاث المختلفة لم تدرج في طرق دراستها لهذه الفترة العناصر الأخرى الأخرى الملاحظة في الفن الصخري و الموجودة في المسكن. إن قلة التأريخاتوكذا نقص مجموعات المقارنة أعادت ضبط كرونولوجية هذه الفترة و لكن المعطيات المتوفرة و

التاريخات المطلقة المتحصل عليها بالاهقار، الطاسيلي ناجر و الفزان تدل على أقدمية الميقاليتي

المغاربي و ترجعه إلى العصر الحجري الحديث الأوسط.

يدل انتشار المعالم الجنائزية على وجود أقاليم محددة مما يسمح بوضع فرضية تحدد نظام توزيع المعالم الجنائزية. و تكمن آفاق هذه الفترة في دراسة العلاقات الممكنة بين هذه المعالم و الثقافات المادية و كذا الفن الصخري. تقل كذلك المعطيات المتعلقة بطرق الدفن و الطقوس الجنائزية. يستوجب كذلك ضبط المصطلحات و تبولوجية الأشكال الهندسية الجنائزية المختلفة. تبقى مسألة البناءيات الطقوسية(العبادية) قائمة. تتطلب كل هذه التساؤلات نقاشاً واسعاً و بناءً يكون هدفه جمع المعلومات اللازمة حول السكان القدماء المغاربة في نهاية النيوليت.

لقد بدأ الفن الصخري عند نهاية فترة البكاريات يعرف تحولات تمثلت خصوصاً في ظهور الأسلوب التخططي الذي تطور أكثر في فترتي الحصان و الجمل والتي استمرت لتجد لها أثار في الكتابة اللوبية و في رموز الفن التقليدي البربرى.

تلهم هي المحاور التي ستتناولها الطبعة الأولى للملتقى الدولي لما قبل التاريخ المغاربي بتمثيلها ونحن واعون باستحالة الإمام بكل الجوانب العلمية من خلال ملتقى واحد خاصة عندما يتعلق الأمر بمواقع مثل التي نحن في صدد تناولها، كونها تغطي نحو مليوني سنة من فترة ما قبل التاريخ، وعلى امتداد جغرافي يغطي شمال القارة الإفريقية .يفكر المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ بتكرис مبدأ الدورية لهذا الملتقى، حول مواقع تكون أكثر تحديد .و بيد المركز جمع مختصين في المسائل المقرحة كل سنة أو سنتين بالجزائر وذلك بغية النهوض بالمعرفة و تحديد مناهج البحث التي تستقطب في ذات الوقت الكفاءات والمخبر بمعذاتها حول علم ما قبل التاريخ .